الفصل السابع و الثلاثون

الكتاب المقدس خير حافظ

« الى الشريعة والى الشهادة. ان لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر » (اشعياء ٨: ٢٠). يُوجَّه شعب الله الى الكتاب كحافظ لهم من تأثير المعلمين الكذبة وقوة أرواح الظلمة المضلة. ويستخدم الشيطان كل حيلة ممكنة ليحول بين الناس وحصولهم على معرفة الكتاب، لان أقواله الصريحة تفضح مخاتلاته. وفي كل انتعاش لعمل الله ينهض سلطان الشر ليبذل جهدا اعظم ونشاطا أوفر. وهو الآن يبذل قصارى جهده لحرب أخيرة يثيرها ضد المسيح وتابعيه. والخدعة الاخيرة ستظهر أمامنا عن قريب. فالمسيح الدجال سيمارس اعماله العجيبة أمام أنظارنا. وسيكون تقليده دقيقا جدا بحيث يشبه الحقيقي، وهكذا يستحيل التمييز بين الاثنين الا بواسطة الكتاب المقدس. فبواسطة شهادته ينبغي فحص كل بيان وكل معجزة.

سيتعرض الذين يحاولون اطاعة كل وصايا الله للمقاومة والسخرية. لكنهم يستطيعون الثبات في الله وحده. ولكي يحتملوا التجربة المقبلة عليهم يجب ان يفهموا ارادة الله كما هي معلنة في كلمته، ويستطيعون اكرامه فقط بقدر ما يكون عندهم ادراك صحيح لصفاته وحكمه ومقاصده ويعملون طبقا لها. وليس غير الذين قد حصنوا عقولهم بحقائق الكتاب يثبتون في هذا الصراع الاخير العظيم.

هذا الاختبار الفاحص ستمر به كل نفس : هل أطيع الله أكثر من الناس ؟ الساعة الحاسمة قريبة الآن. فهل اقدامنا راسخة على صخرة كلمة الله الثابتة ؟ وهل نحن متأهبون لان نقف ثابتين دفاعا عن وصايا الله وايمان يسوع ؟

أوضح المخلص لتلاميذه قبل صلبه انه سيُقتل ويقوم ثانية من القبر، وكان الملائكة حاضرين ليرسخوا هذه الاقوال في عقولهم وقلوبهم. لكنّ التلاميذ كانوا ينتظرون الخلاص الزمني من نير الرومان فلم يستطيعوا احتمال فكرة كون ذلك الذي قد تركزت فيه كل آمالهم ينبغي ان يقاسي موتا مشينا. والاقوال التي كانوا في حاجة الى ان يذكروها غابت عن اذهانهم، وعندما جاء وقت التجربة وجدتهم على غير استعداد. ان موت يسوع قد حطم آمالهم بالتمام كما لو لم يكن قد سبق فأنذرهم. كذلك في النبوات نجد المستقبل واضحا أمامنا بكل جلاء كما كان واضحا أمام التلاميذ بواسطة أقوال المسيح. فالحوادث المتصلة بانتهاء زمن النعمة وعمل الاستعداد لزمان الضيق معروضة بوضوح. لكن جماهير من الناس لا يدركون من هذه الحقائق المهمة أكثر مما لو لم تكن قد أعلنت. فالشيطان ينتظر ليختطف بعيدا كل تأثير يمكن أن يجعلهم حكماء في شأن الخلاص، وسيجدهم زمان الضيق غير مستعدين.

عندما يرسل الله الى العالم انذارات مهمة جدا بحيث تُصوَّر على انها معلنة بواسطة الملائكة القديسين وهم طائرون في وسط السماء فانه يطلب من كل انسان موهوب بقوى التفكير والتعقل ان يلتفت الى الرسالة ويعيها. ان الضربات المخيفة المقضي بها ضد عبادة الوحش وصورته (رؤيا ١٤: ٩ ـــ ١١) ينبغي ان تقود الكل لدرس النبوات باجتهاد ليتعلموا ما هي سمة الوحش وكيف يمكنهم تجنب قبولها. لكن جموع الناس يحولون آذانهم عن سماع الحق فيميلون الى الخرافات. فالرسول بولس وهو ينظر الى الامام الى الايام الاخيرة يعلن قائلا: «لانه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح» (٢ تيموثاوس ٤: ٣). وها قد جاء ذلك الوقت. فجماهير الناس لا يريدون الحق الكتابي لانه يتدخل في رغبات القلب الخاطئ المحب للعالم، والشيطان يقدم اليهم المخاتلات والمخادعات

التي يحبونها .

شعب الكتاب

لكنّ الله سيكون له على الارض شعب يحفظون الكتاب المقدس والكتاب المقدس وحده، كمقياس لكل التعاليم وأساس كل الاصلاحات. فلا آراء العلماء أو استنتاجات العلم ولا عقائد المجامع الكنسية أو قراراتها، التي هي كثيرة ومختلفة بنسبة الكنائس التي تمثلها، وصوت الاغلبية ــ كل هذه لا ينبغي اعتبارها، منفردة أو مجتمعة، برهانا في جانب أي فقرة من العقيدة الدينية أو ضدها. فقبل قبول أي تعليم أو وصية ينبغي أن نسأل ما اذا كان مستندا الى قول الرب أم لا. وهل هو يتفق مع : « هكذا قال الرب ».

يحاول الشيطان دائما أن يوجه الانظار الى الانسان بدلا من توجيهها الى الله. ويجعل الناس يتطلعون الى الاساقفة والرعاة وأساتذة اللاهوت كمرشدين لهم بدلا من ان يفتشوا الكتب ليعرفوا واجبهم نحو انفسهم. وحينئذ اذ يسيطر على عقول هؤلاء القادة يمكنه أن يؤثر في الجماهير حسب ارادته.

عندما جاء المسيح ليتكلم بكلام الحياة سمعه عامة الشعب بسرور، وكثيرون حتى من الكهنة والرؤساء آمنوا به. لكنّ رئيس الكهنة وقادة الامة عقدوا العزم على ادانته ورفض تعاليمه. ومع انهم اخفقوا في كل محاولاتهم في ان يجدوا شكاية ضده، ولم يسعهم إلا أن يحسوا بتأثير القوة الالهية والحكمة المصاحبة لاقواله، فقد حبسوا انفسهم في نطاق التعصب ورفضوا انصع البراهين على كونه مسيا لئلا يضطروا الى ان يصيروا له تلاميذ. كان خصوم يسوع هؤلاء قوما تعلم الشعب منذ نعومة اظفارهم ان يكرموهم، واعتادوا الانحناء أمام سلطانهم بكل ثقة. وقد تساءل الناس قائلين : « كيف لا يؤمن رؤساؤنا وكتبتنا العلماء بيسوع ؟ أما كان هؤلاء القوم الاتقياء يقبلونه لو كان هو المسيح ؟ » ان نفوذ مثل هؤلاء المعلمين هو الذي قاد الامة اليهودية الى رفض فاديها.

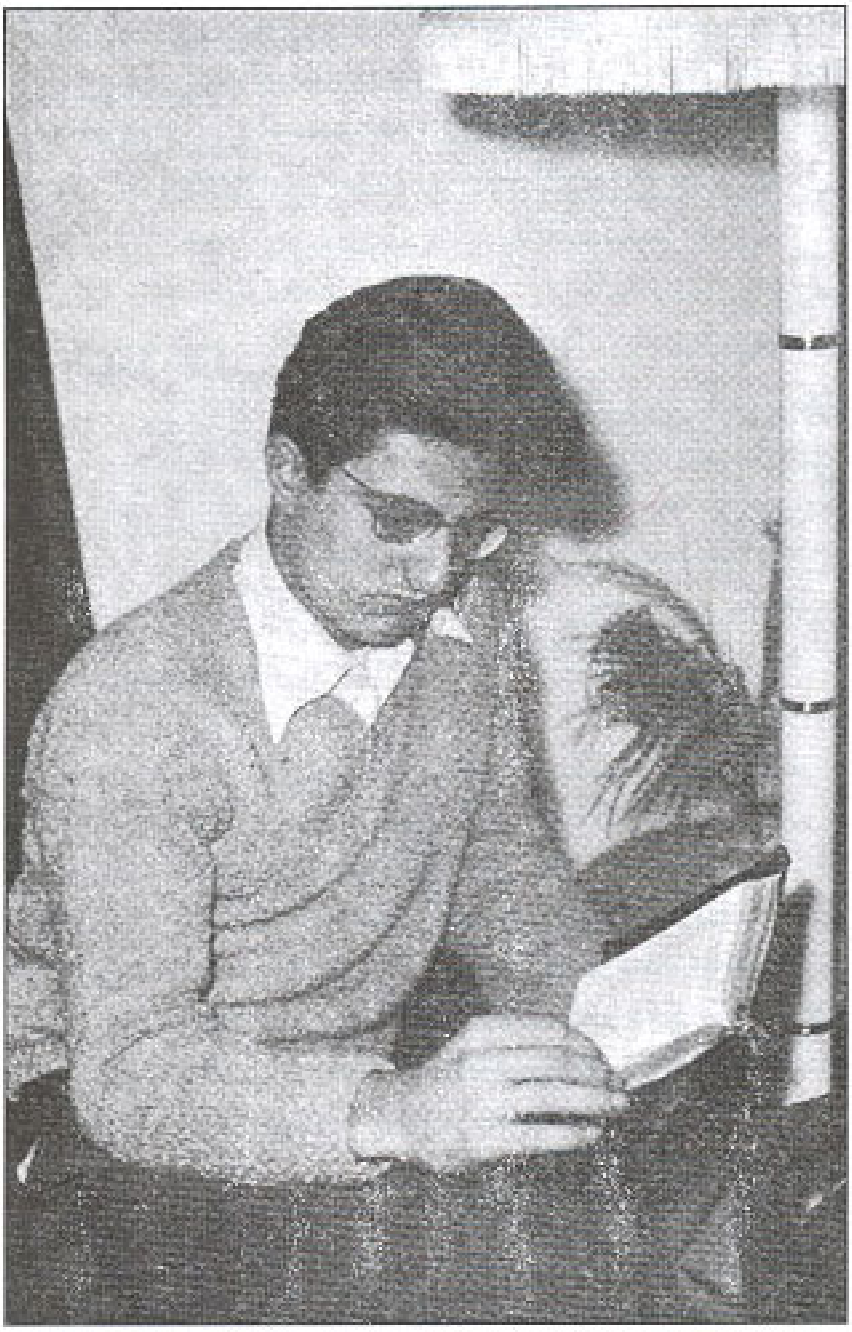

الكتاب المقدس مقياس كل التعاليم و اساس كل اصلاح

وتلك الروح التي حرّضت أولئك الكهنة والرؤساء لا يزال يظهرهاكثيرون ممن يدعون التقوى والقداسة. انهم يرفضون فحص شهادة الكتاب المقدس الخاصة بالحقائق المتعلقة بهذه الايام. يشيرون الى كثرة عددهم ووفرة غناهم وذيوع شهرتهم، وينظرون بازدراء الى دعاة الحق ومناصريه على انهم قليلو العدد فقراء وخاملو الذكر ويعتنقون عقيدة تفصل بينهم وبين العالم.

تمجيد السلطة البشرية

وقد سبق المسيح فرأى ان ادعاء السلطان غير اللائق الذي يتمسك به الكتبة والفريسيون لن ينتهي بشتات اليهود. لقد كانت له بصيرة النبي فرأى عمل تعظيم السلطة البشرية للسيطرة على الضمائر، الامر الذي كان لعنة رهيبة للكنيسة في كل العصور. وان الويلات المخيفة التي نطق بها ضد الكتبة والفريسيين، وانذاراته التي وجهها الى الشعب حتى لا يتبعوا أولئك القادة العميان، انما سجلت لانذار الاجيال المقبلة.

تحتفظ كنيسة روما للاكليروس بحق تفسير الكتاب المقدس. فعلى أساس كون الاكليروس هم وحدهم أكفاء لشرح كلمة الله من دون غيرهم من الناس فقد حُرم عامة الشعب من هذا الحق. ومع ان الاصلاح قدم الكتاب الى الجميع فان المبدأ نفسه الذي سارت عليه روما يمنع جموعا غفيرة في الكنائس البروتستانتية من تفتيش الكتاب لانفسهم. لقد تعلموا ان يقبلوا تعاليمها كما قد فسرتها الكنيسة، ويوجد آلاف ممن لا يجرؤون على قبول شيء يناقض عقيدتهم أو تعليم كنيستهم الثابت، مهما كان ذلك الشيء واضحا في الكتاب.

وعلى رغم كون الكتاب مملوءا انذارات ضد المعلمين الكذبة فان كثيرين مستعدون هكذا لان يستودعوا حفظ أرواحهم بين أيدي رجال الاكليروس. ويوجد اليوم آلاف من المعترفين بالدين ممن لا يمكنهم ان يقدموا سببا واحدا عن مواد ايمانهم الذي يعتنقونه أكثر من قولهم ان هذا هو ما قد تعلموه

من رؤسائهم الدينيين. انهم يمرون بتعاليم المخلص مر الكرام حتى يكادون لا يلاحظونها، ويضعون ثقتهم التامة في الخدام. ولكن هل الخدام معصومون ؟ وكيف نستأمنهم على ارشاد نفوسنا ما لم نعلم من كلمة الله انهم حاملو مشعل النور ؟ ان انعدام الشجاعة الادبية بحيث لا يميل الانسان عن الطريق المطروق الذي يسير فيه العالم يجعل كثيرين يسيرون في اثر خطوات العلماء، وبنفورهم من الفحص والاستقصاء بانفسهم ولانفسهم يصيرون مكبلين في سلاسل الضلال بلا أمل في الحرية. انهم يرون ان الحق الخاص بهذا العصر مكشوف للعيان بكل وضوح في الكتاب ويحسون بقوة الروح القدس مرافقا لاعلانه، الا انهم يسمحون لمقاومة الاكليروس بان تبعدهم عن النور. ومع ان عقولهم وضمائرهم مقتنعة فان هذه النفوس المخدوعة لا تجرؤ على أن تفكر تفكيرا يخالف ما يقوله الخادم، وحكمهم الشخصي وصالحهم الابدي يُضحَّى بهما على مذبح عدم الايمان والكبرياء والتعصب الذي يتمسك به شخص آخر.

خيوط المحبة الحريرية

كثيرة هي الطرق التي يعمل الشيطان بواسطتها من خلال المؤثرات البشرية في تعمية اسراه. انه يستحوذ على جماهير كثيرة لنفسه اذ يربطهم بخيوط حريرية، خيوط المحبة لمن هم أعداء صليب المسيح. وسواء كان هذا الارتباط ارتباط الآباء أو الابناء أو الازواج أو ارتباطا اجتماعيا فالتأثير هو هو لا يتغير، فمقاومو الحق يستخدمون سلطانهم في السيطرة على الضمير، والنفوس الممسَكة تحت سلطتهم ليست لديها الشجاعة الكافية أو الاستقلال لاطاعة اقتناعها بالواجب.

ان حق الله ومجده لا ينفصلان، ونحن يستحيل علينا، والكتاب في متناول أيدينا، ان نكرم الله بالآراء المغلوطة. كثيرون يدعون قائلين انه لا يهم ما الذي يعتقده الانسان اذا كانت حياته حياة مستقيمة. لكنّ العقيدة هي التي تشكل

الحياة. فاذا كان النور والحق في متناول ايدينا ونحن نهمل الاستفادة من ميزات استماعه ورؤيته فاننا في الواقع نرفضه، ونحن نختار الظلمة ونفضلها على النور.

« توجد طريق تظهر للانسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت » (أمثال ١٦ : ٢٥) ليس الجهل عذرا عن الضلال أو الخطيئة فيما كل الفرص ماثلة أمام الانسان ليعرف ارادة الله. ها رجل مسافر يأتي الى مكان به طرق متشعبة كثيرة وتوجد على جانب الطريق لافتة تشير الى نهاية كل طريق. فاذا هو أغفل تلك اللافتة واتخذ اي طريق يتراءى له انه صواب، فقد يكون مخلصا تمام الاخلاص ولكن من المرجح أن يجد نفسه سائرا في طريق مخطئ غير الذي يريده.

الواجب الاول والأهم

لقد اعطانا الله كلمته لنتعرف الى تعاليمها ونعرف لانفسنا ماذا يطلبه الله منا. عندما جاء الناموسي الى يسوع وطرح عليه هذا السؤال : « ماذا أعمل لأرث الحياة الابدية » ؟ وجَّهه المخلص الى الكتاب قائلا له : « ما هو مكتوب في الناموس كيف تقرأ » ؟ ان الجهل ليس عذرا يركن اليه الصغار أو الكبار ولا يعفيهم من القصاص الذي يستوجبه التعدي على شريعة الله، لان بين أيديهم عرضا أمينا لتلك الشريعة ومبادئها ومطالبها. لا يكفي ان تكون نوايا الانسان صالحة، ولا يكفي ان نفعل ما نظنه صوابا ولا ما يقول الخادم عنه انه صواب. ان خلاص نفس الانسان مهدد بالخطر وعليه ان يفتش الكتب لنفسه. مهماى تكن اقتنا عاته قوية ومهما يكن واثقا من ان الخادم يعرف الحق، فهذا لا يصلح اساسا يبني عليه ثقته. ان لديه خارطة تشير الى كل علامة من معالم الطريق في سياحته الى السماء ، وينبغي الا يخمن من جهة أي شيء.

ان أول واجب واعظمه على كل كائن عاقل هو ان يتعلم من الكتاب ما هو الحق ثم يسير في النور ويشجع الآخرين على التمثل به. علينا

ان ندرس الكتاب باجتهاد يوما بعد يوم فنزن كل فكر ونقارن بين آية واخرى. وبمساعدة الله نكوِّن آراءنا لانفسنا اذ ان علينا ان نجيب عن انفسنا امام الله.

ان الحقائق المعلنة جلياً في الكتاب قد أحاطها العلماء بالشكوك والظلمات، فلكونهم يدَّعون إدعاءات عظيمة بانهم علماء وحكماء فهم يعلمون الناس بان للكتاب معنى غامضاً خفياً روحياً لا يظهر في لغته الحالية. هؤلاء القوم معلمون كذبة. فلمثل تلك الفئة من الناس قال يسوع : « لا تعرفون الكتب ولا قوة الله » (مرقس ١٢: ٢٤). ان لغة الكتاب ينبغي شرحها طبقاً لمعناها الواضح ما لم يكن هنالك رمز أو استعارة. لقد أعطى المسيح هذا الوعد : « ان شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم » (يوحنا ٧: ١٧). فلو اخذ الناس الكتاب كما يُقرأ ولم يكن هنالك معلمون كذبة يضللون عقولهم ويربكونها لامكن انجاز عمل يُفرح قلوب الملائكة ويضم الى حظيرة المسيح آلافا فوق آلاف ممن يهيمون الآن في تيه الضلال.

وعلينا أن نجهد كل قوى عقولنا في درس الكتاب المقدس. علينا ان نجبر افهامنا على ادراك عوائص الله على قدر ما يستطيع بشر أن يفعل. ومع ذلك فلا ننسى ان مرونة الطفل وخضوعه هما الروح الحقيقية لكل من يتعلم. ولا يمكن التغلب على معضلات الكتاب بالوسائل نفسها المستخدمة في مكافحة المشكلات الفلسفية. ينبغي الا نشرع في دراسة الكتاب المقدس بروح الاعتماد على الذات التي بها يدخل كثيرون الى مناطق العلم، بل بالاعتماد على الله في روح الصلاة وبرغبة مخلصة في معرفة مشيئته. علينا ان نأتي بروح متواضعة قابلة للتعلُّم لنحصل على المعرفة من ذاك الذي اسمه أهيه العظيم، وإلا فالملائكة الاشرار سيطمسون اذهاننا ويقسون قلوبنا حتى لا نتأثر بالحق.

كثيرا ما يكون هنالك فصل من الكتاب يقول عنه العلماء انه غامض او يمرون به مرورا سريعا اذ يعتبرونه عديم الاهمية ولكنه يكون مملوءا بالعزاء والتعليم لمن قد تعلم في مدرسة المسيح. ومن بين الاسباب التيى لاجلها

ليس لكثيرين من رجال اللاهوت ادراك أوضح لكلمة الله هو انهم يغمضون عيونهم عن الحقائق التي لا يرغبون في ممارستها عمليا. ان ادراك حق الكتاب لا يتوقف بالاكثر على قوة الذهن الذي يستخدم في البحث كما على توحيد القصد وبساطته، والرغبة والشوق الحار في طلب البر.

«يعلمكم كل شيء »

ينبغي الا ندرس الكتاب من دون صلاة. فالروح القدس وحده هو الذي يستطيع ان يجعلنا نشعر باهمية تلك الاشياء التي يسهل فهمها أو يمنعنا من تحريف الحقائق التي يصعب علينا ادراكها. ان عمل ملائكة السماء هو اعداد القلب بحيث يفهم كلمة الله لكي يسحر جمالها قلوبنا فنتحذر بانذاراتها أو نحيا وننتعش ونتقوى بمواعيدها. وعلينا ان نتخذ صلاة المرنم لانفسنا فنقول : « اكشف (يا رب) عن عينيَّ فارى عجائب من شريعتك » (مزمور ١١٩: ١٨). فالتجارب في غالب الاحيان تبدو كأنها لا تُغلَب لان المجرَّب بسبب اهماله الصلاة ودرس الكتاب لا يستطيع ان يذكر مواعيد الله بسرعة ليقابل الشيطان بسلاح الكتاب. لكنّ الملائكة يعسكرون حول الذين يرغبون في تعلم امور الله، وفي وقت الحرج والحاجة العظمى يُنجدون ذاكرتهم بالحقائق ذاتها التي يحتاجون اليها. وهكذا « عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه » (اشعياء ٥٩: ١٩).

وقد وعد يسوع تلاميذه قائلا : « وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يوحنا ١٤: ٢٦). ولكن ينبغي قبل ذلك ان ندخر تعاليم المسيح في اذهاننا حتى يذكرنا بها روح الله في وقت الخطر. وقد قال داود : « خبأت كلامك في قلبي لكي لا اخطئ اليك » (مزمور ١١٩: ١١) .

على كل من يقدرون مصالحهم الابدية ان يكونوا يقظين وساهرين ضد غارات الالحاد. ان أعمدة الحق نفسها ستُهاجَم ويستحيل علينا ان نكون بعيدين عن متناول تهكمات الالحاد العصري ومغالطاته وتعاليمه المخاتلة والوبيلة. والشيطان يكيِّف تجاربه بحيث تناسب كل الطبقات. فهو يهاجم الاميين بنكتة أو سخرية، بينما هو يواجه المثقفين باعتراضات علمية ومحاجّة فلسفية، والغرض منها جميعا اثارة الشكوك أو احتقار الكتاب. بل حتى الشباب القليلو الاختبار يتجرَّأون على دس الشكوك في مبادئ المسيحية الاساسية. وإلحاد الشباب هذا مع انه ضحل قليل الغور فله تأثيره. وكثيرون من الشباب ينقادون الى السخرية بايمان آبائهم والازدراء بروح النعمة (عبرانيين ١٠: ٢٩). وكثيرا ما يحدث ان انسانا كان يُرجى ان تكون حياته مكرِّمة وممجِّدة لله وبركة للعالم ضربتها ريح الالحاد الفاسدة المحرقة. وكل من يركنون الى احكام العقول البشرية المتفاخرة ويتصورون انهم يستطيعون شرح اسرار الله والوصول الى الحق من دون الاستعانة بحكمة الله تعلق ارجلهم في اشراك الشيطان.

اننا اليوم عائشون في اخطر فترة من فترات تاريخ العالم. ومصير الارض بمن يعيشون عليها والذين يتكاثرون كل يوم موشك ان يتقرر. وتتوقف سعادتنا العتيدة وكذلك خلاص النفوس الاخرى على سلوكنا وتصرفنا الحالي. فنحن في حاجة الى الاسترشاد بروح الحق. وعلى كل تابع للمسيح ان يسأل بكل غيرة قائلا : « ماذا تريد يا رب ان افعل» ؟ علينا ان نتضع امام الرب بالصوم والصلاة وان نلهج بكلمته دائما وعلى الخصوص نتأمل في مشاهد الدينونة. علينا الآن ان نطلب اختبارا عميقا حيا لامور الله. لم يبق لدينا وقت نضيعه ولا برهة واحدة. فالحوادث ذات الخطورة الحيوية تحدث حولنا. ونحن في أرض الشيطان المسحورة. فلا تناموا يا حراس الله، فالعدو كامن قريبا منكم يتربص بكم، فاذا تراخيتم أو نمتم في أي لحظة فهو على اهبة الانقضاض عليكم لافتراسكم.

كثيرون مخدوعون في ما يختص بحالتهم الحقيقية امام اللّه. انهم يهنئون انفسهم على الاخطاء التي لا يرتكبونها، ولكنهم ينسون احصاء الاعمال الصالحة والنبيلة التي يطلبها اللّه منهم ولكنهم اهملوا القيام بها. فلا يكفي ان يكونوا اشجارا في جنة اللّه بل عليهم ان يحققوا انتظاراته في الاتيان بثمر. وهو يعتبرهم مسؤولين عن اخفاقهم في اتمام كل الصلاح الذي كان يمكنهم ان يفعلوه بواسطة نعمته التي تقويهم. ففي اسفار السماء مسجل ضدهم انهم معطِّلون ومبطلون للأرض. ومع ذلك فحتى حالة هذه الفئة من الناس ليست ميئوساً منها. ان قلب المحبة المتأني الصبور لا يزال يتوسل الى الذين قد استهانوا برحمته واساءوا استخدام نعمته، « لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح. فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق ... مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة » (أفسس ٥: ١٤ ــ ١٦).

عندما يأتي وقت الامتحان فأولئك الذين جعلوا كلمة اللّه دستور حياتهم سيظهرون. في الصيف لا يرى فرق ظاهر بين الاشجار الدائمة الاخضرار وغيرها من الاشجار، ولكن عندما تجيء زوابع الشتاء وبرده تبقى الاشجار الدائمة الاخضرار بلا تغيير بينما الاشجار الاخرى تتجرد من أوراقها. وهكذا المعترف بالمسيحية الكاذب القلب قد لا يمكن تمييزه الآن من المسيحي الحقيقي ولكن في وقت قريب سيظهر الفرق. فلو استيقظت المقاومة وساد التعصب واشتعلت نيران الاضطهاد فان الفاترين والمرائين سيترنحون ويسلمون في عقيدتهم، لكنّ المسيحي الامين سيظل ثابتا كالصخر وسيتقوى ايمانه ويلمع رجاؤه اكثر مما في ايام النجاح.

يقول المرنم : « شهاداتك هي لهجي ». « من وصاياك اتفطن لذلك ابغضت كل طريق كذب » (مزمور ١١٩: ٩٩ و ١٠٤).

« طوبى للانسان الذي يجد الحكمة »، « فانه يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى نهر تمد اصولها ولا ترى اذا جاء الحر ويكون ورقها اخضر وفي سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الاثمار » (امثال ٣: ١٣؛ ارميا ١٧: ٨).